صراع القوى في آسيا الوسطى وتركستان الغربية في العصر الإسلامي

الدكتور
علي حسين جاسم الكرطاني

كلية العلوم الإسلامية

الصراع بين الصين والأتراك

كان العنصر السائد في تركستان الغربية منذ القرن السادس يتألف من الاتراك، منذ كانت الحدود الغربية لدولة كوك- تورك[1] البدوية عقيب انهيار الهياطلة (٥٦٣م-٥٦٧م) تمتد حتى نهر جيحون، إلا أن الأولى هي أخرى لم تستمر طويلاً لأنها كانت تنوء بأسباب الانهيار من انتفاضات وحركات التمرد التي كانت تغذيها السياسة الصينية وتدعمها، فسقطت أخيراً عام ٦٥٠ م مما أفسح مجالاً للتوسع الصيني في غربي تركستان أعتباراً من عام ٦٥٩م، بيد أن التوسع الصيني لم يكن شاملاً على كل هذه المناطق لان قبائل التوركيش الضاربة على امتداد نهر ايلي وقعت تحت السيطرة الصينية واسست لها دولة عرفت بـ (صاري توركيش) متخذة مدينة طوقماق (توقماق) ركيزتها وحاضرتها، ولم تمضي على تأسيس هذه الدولة فترة طويلة من الزمن حتى استطاعت أن تستجمع قواها وتكسب عناصر الحيوية[2] غير أنها بالرغم من كل ذلك لم تبلغ من القوة والسيادة إلى درجة تستطيع بها تفادي الخطر الصيني أو تتمكن من تكوين وحدة سياسية بزعامتها في

(١) الترجمة الانكليزية gveansoviet Encylop المجلد ٢٥ مادة تالاس الترجمة الانكليزية لتاريخ بخاري بقلم Fuye ١ذ٠٦ ورد اسم طلس في القسم الجغرافي من تاريخ أسرة تانغ وفي رحلة الراهب البوذي suon cuay الذي قاحم برحلة في انحاء اسيا وطلس في الأطلس أسم نهر في آسيا الوسطى ففي القرن السابع عندما توسعت التجارة ونشأت مدن على ضفاف هذا النهر أكبرها لس – حسب مجلات تاريخ Tang وأن المعركة حصلت في هذه المدينة بين القائد الصيني siencl–Gav وبين القائد القائد العربي زياد بن صالح.

(٢) كذلك راجع الترجمة العربية لمقالة دتلوب ص ١٢ (جامعة كولوجيا) مطبعة شفيق ١٩٦٨ بغداد ترجمة يوسف يعقوب أن ما نقله دنلوب نقلاً عن كتاب (حدود العالم) للمؤلف المجهول لم أعثر عليه في العشرة المطبوعة نقلاً عن طبعة بارتول حول كلمة طلس إنما ورد في صفحتي ١٨ و ١٥ ذكر (طراز) فقط.

بها تفادي الخطر الصيني أو تتمكن من تكوين وحدة سياسية بزعامتها في تركستان الغربية، لأن بلاد ما وراء النهرين في هذا الاثناء كانت ممزقة ومتفرقة الى وولايات صغيرة، امثال دويلات مدن بخارى وسمرقند وطشقند وغيرها حيث كانت تحكمها كما يبدوا من الاتراك.

استمرت الاضطرابات السياسية في تركستان الغربية حتى قيام دولة كوك تورك الثانية عام ٦٨٢م/٦١هـ حين أستقلت هذه الدولة في عهد حاكمها (كوتلوغ – فاغان) وبعد زهاء عشر سنين انتقل الحكم إلى حاكم آخر يدعى (فاباغان– قاغان) (٧١ هـ–٩٩هـ)[١] الذي شعر أن الفرصة مواتيه عام ٧١٢م كي يكتسح دول (صاري توركيش) ويقضي على زعيماً (صوكو)[٢] وعلى أثر هذه الهزيمة التي لحقت بالتوركيش اعترفت هي، وقبائل القارلوق التركية بسيادة كوك تورك التي بلغت حدودها من جهة الغرب الى سيحون وتعاظمت قوتها إلى درجة أخذت القبائل الأخرى تتدافع أمامها مسرعة لا تلوي على شيء، وتترك مواطنها أحياناً إلى قبائل تركية أخرى فتكونت بالتالي قوة سياسية جديدة قاعدتها اطراف بحيرة بالكاش[٣] ومعظم أهلها من قبائل الفارلوق.

سار (كاباغان – كاغان) خلال حملاته في جبهة الغرب على سياسة متصلبة ومواقف متشددة مما أثار ثائرة قبائل التوركيش التي كانت تسكن قرب مدينة

---

(١) مقالة بارنولد بعنوان (المسيحية في آسيا الوسطى) نشرتها مجلة Tuvkiyat me ص ٢١٠ أطلعنا على ما ذكره الذهبي بواسطة مقالة دنلوب.

(٢) الثعالبي ثمار القلوب ص ٥٤٣.

(٣) مقالة البروق H. Dnrsun yildiz المعنونة بـ "Tavih Dergistalas uncelev Istanbal – 197371 – 83 – savasi Hakkinltuz Dus

وهي المقالة التي استفدت منها كثيراً في أعداد هذا البحث.

طلس والتي أعلنت بقيادة صولوكاغان الاستقلال عام (٧١٧-٧٣٧م/ ٩٩-١١٩هـ) وانفصلت عن دولة (كوك تورك).

اشتبك صولوكاغان (٩٩- ١١٩هـ) في جبهة الشرق بمعارك مع الصين من جهة ومع العرب من جهة أخرى، ففي هذه الاثناء عقد الامبراطور الصيني مع التبت معاهدة استطاع بها أن يتفادى خطرها، وعلم في الوقت نفسه يقيناً بأنه لا يستطيع من الغلبه على صولوكاغان بالحركات العسكرية وحدها لذلك ترسل بأسلوب سياسي جديد، فبعث بأميرة صينيه إلى صولوكاغان الذي لم يكن من جانبه مطمئناً إلى صداقة الامبراطور ونواياه المنطوية على حب الغلبة والسيطرة[1] غدت تركستان الغربية خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادي معتركاً بين العرب والصين والاتراك ويجد كل طرف من هذه الاطراف لأن يحوز في هذه المناطق انتصارات ترمي الى الهيمنة عليها، فقد بلغ الصراع ذروته في معركة نشبت بين العرب والصين، وانتهت بإزاحة الصين ومعالمها الحضارية من انحاء هذه البلاد نهائياً، كما أدت إلى إحلال حضارة العرب والمبادئ الاسلامية محل غيرها من الحضارات والاديان التي كانت تسود آسيا الوسطى وتركستان الغربية[2].

يرى المستشرق الروسي الشهير بارتوللا: أن معركة طلس حدثت في تموز من عام (٧٥١م/١٣٤هـ) يذكر المؤرخ العربي شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) نقلاً عن المؤرخ (الفسوي) (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) بأن

---

(١) Galarilstan Buliqtil 61. Bahaedd in ogogel Tark kulturanun Gelisme .

(٢) من الجدير بالتنويه أن احدث واوفى كتاب في التاريخ الترك قبل الاسلام هو مؤلف المرحوم البرفسور i. Kafes Dglu.

المعركة وقعت عند مدينة (طبخ)[١] التي يسميها الثعالبي في ثمـــار القلـــوب بـــ (اطلح)[٢] حيث وقف الجيش العربي عام ٧١٥م وجهاً لوجه أمام القوات الصينيـــة على مقربه من ماء طلس لخوض معركة غير متكافئة في عـــدد المقـــاتلين، انتـــهت بالنصر العربي على الجيش الصيني الضخم، فكانت بذلك مضافاً حربياً خطيراً فضلاً عن أنها كانت صراعاً بين حضاريتي العرب[٣] والصين أدت إلى ترســـيخ الاســـلام وحضاراته في هذه البلاد كما أسلفنا.

أما النهر الذي سميت الموقعة باسمه فيذكر على شكل (طلس) أو (تلـــس) واحياناً يرد على صورة (طراز) وموقع المعركة في جمهورية فاواخستان الحالية وعنـد (اوليا – آنا) السابقة. اساء صولوكاغان وهو على الوثنيه إلى العرب، خاصة عندما ارتج النفوذ العربي عقيب انحسار ظل القائد العربي قتيبة بن مسلم البـــاهلي مـــن ما وراء النهر وخرسان[٤].

أخذ صولوكاغان بالاغارة على العرب ويغذي حركات التمرد والعصيـــان عليهم، فـــأعد حملة على طشقند، وجرت بينه وبين المسلمين بقيادة مســـلم بـــن سعيد معركة دامية، وكذا قامت حمـــلات توركيشـــيه في (١٠٨ و ١٠٩هـــ / ٧٢٦-٧٦٨م)[٥] على مناطق النفوذ العربي استثار اعمال الشغب والتمرد في كـل من سمرقند وبخارى مما هيأ فرصة مؤاتيه للصين التي كانت تتحين الفرصة في التغلغـل إلى تركستان الغربية وعلى ذلك نشبت معركة بين الصـــين وبـــين صولوكاغـــان

---

(١) H, Dursanyil dizapcit .

(٢) M. Be sat uzman Istanbal q Bosh

(٣) فصل الفارلوق H D. yidiziop cit. Likofesoy IV. Op, Cit , 112

(٤) Op . Cit 121

(٥) الطبري ١٤٢ / ٦ / ٦٠٨/ ٦٠٩ ابن الأثير ٥/ ١٥٣٠٩٢ . ٣٠٥.

اسفرت عن انتصار الصين على الكاغان، ولم تمضي على هذا الحادث سوى سنة واحدة حتى خسر الكاغان مرة أخرى، وفي معركة أخرى أمام والي خراسان أسد بن عبد الله القسري في (١٩ ك١ عام ١٧٣٦م)[١] فتضعضع على أثرها نفوذه في تركستان الغربية إلى حد بعيد[٢].

ولعلها كانت باستعداد ودعم من الصين، أدت إلى مقتل صولو واهتزاز مملكة التوركيش، وعندما حاول أبن صولوكاغان الثأر لابيه أنتصرت الصين لـ (باغاتارسخان) فاخفق الأبن في مسعاه.

وبعد تولي باغاراتاركان الحكم بمساعدة الصين وجد نفسه في وضع لا يستطيع فيه أن يتحمل وطأة النفوذ الصيني، فضاف بها ذرعاً فألغى الاتفاقية القائمة بين الطرفين عام (١٢٥هـ-٧٤٢م) الأمر الذي أثار ضغائن الصينيين فشنوا حملة عسكرية بقيادة والي المنطقة الصيني Ling-co على التوركيش فقتلوا تاركان، واخيراً انحسر نفوذا لتوركيش فترة من الزمان ولم يعد له شأن يذكر في المنطقة.

واستمر الوضع على هذه الشاكلة حتى قيام دولة تركشية أخرى مستقلة تعرف بـ (قره توركيش) قرب منطقة طشقند أسسها امراء اتراك أيضاً من سلالة كوك تورك الحاكمة.

أخذت هذه الدولة الحديثة تبي نشاطاً عسكرياً في هذه الجهات وتمدو حكام طشقند من الجنوب مما أسفر عن نشوب معارك طاحنة بين الطرفين اضطر

---

(١) الطبري ٧/ ٥٢ .

(٢) أبن الاثير ٥/ ٢٠٠ - ٢٠٦.

حكام طشقند نتيجة لها في أن يعقد مع جماعات أخرى مـــن القبـــائل التركيـــة في الشمال المعروفة بقبائل القارلوق الضاربين باعداد كبيرة قرب بحيرة (بالكاش).

اشغل الفارلوق منصب (يابغو)[١] لدى قاغان طشقند وبذلك شاركوا فعلاً في إدارة دولة هذا القاغان[٢].

ومهما كان سير الأمور وطبائع الاحداث فأن الحاكم التركي في تركســتان الغربية أخذ يتجه نحو الانهيار منذ مطلع القرن الثامن الميلادي[٣].

---

(١) كتابه بالانكليزية عنوانه Gibb الفتح العرب لآسيا الوسطى وهو كتاب مشهور عنوانـــه الدولة العربية.

(٢) يقول أبن فضلان (ط- سامي الدهان ص ١٠١ ان ملك الذل الغزية يقال له يتبغو وهـــو أسم أمير وكل ملك في هذه القبيلة إلا أن هذا اللقب من المحتمل يعني القائد العسكري .

(٣) B. ogel Op . Cit . Gz .

النفوذ الصيني في تركستان الغربية وما وراء النهر

كانت الصين تحاول باستمرار السيطرة على تركستان الغربية فكانت في حالة حروب متتابعه مع الاتراك منذ زمن الهون، وهي تتحين الفرصة وتستغل ضعف الحكومات التركية لتبسط نفوذها على هذه الانحاء إلا أن حملة الزعيم التركشي (دولة تركش الثانية) كاباغان كاغان (٦٩١-٧١٧م/٧٢-٩٩هـ) على الصين جاءت لتضع حداً لاطماع هذه الدولة. واضطرها على التراجع فترة لم تستمر طويلاً، إلى أن ظهرت بعدها بشائر الفتح الاسلامي فتغير الشكل السياسي لبلاد تركستان وفي الوقت الذي كانت المعارك محتدمه بين الاتراك الوثنيين وبين المسلمين في تركستان الغربية وما وراء النهر، كان الحكم في الصين بيد الامبراطور Tsang-Hiuan (٧١٣- ٧٥٥) وهو من الشخصيات القوية التي انجبتهم اسرة Tang (٦١٨- ٩٠٦)[١].

ومما يستلزم ذكره بهذه المناسبة أن أول حاكم في هذه المنطقة استنجد بالصين هو أخشيد فرغانة الذي التجأ الى أقليم كوشيا Kuca على أثر تحرير العرب لمنطقة فرغانة، وعرض نفسه على الصين وقرر اعترافه بالسيادة الصينية عندما يعود إلى منطقته ويسترجع سيادته، ثم هذا حذوه عدو من الحكام الفاقدين عروشهم وتسلطهم على الناس، إلا أن الصين لم تقم إزاء هذه الحالات بمحاولة فعليه لاجل هؤلاء المستنجدين لها وبالرغم من أن الامبراطور Hiuan-Tsang كان يترقب السيطرة على هذه الانحاء وبرغبة جامحة، يرى الباحثون أن السبب في هذا التقاعس في تلك الاثناء يرجع إلى خطر التبت على الصين من جهة، ومن جهة أخرى كان الامبراطور يتحاشى التورط آنذاك في معركة دامية مع الدولة

---

(١) H. Dy Idiz , Op . Cit .

الأموية، وفي خضم هذه الأوضاع السياسية في المنطقة برزت أحداث جديدة حملت الامبراطور على تحقيق مآربه، ففي عام ٧٣٨م قتل صولوكاغان حاكم دولة التوركيش وعلى أر ذلك دب الضعف في كيان مملكته وتفاقمت فيها الاضطرابات الداخلية فسنحت للصين الفرصة كي تعيد سطيرتها على تركستان الغربية[١].

تعاظم النفوذ الصيني عام (١٢٧هـ-٧٤٤م) والتدرج في وادي (ايلي) وفي اطراف (ايسيق كول) لا سيما عندما تلاشى هطر التبت عام ٧٤٧م وفيما توجه وإلى كوجا Kuca المدعو (Kao/ sicn /che) على رأس جيش جرار نحو جانب الغرب فكان ذلك مبعث تطورات مهمة في المقدورات السياسية لتركستان الغربية.

(١) لعبت هذه الاسرة دوراً مهماً في خدمة الحضارة الصينية وبلغت حدود الصين في عهد الامبراطور الاول الى حوض تاره في آسيا الوسطى.

العرب في تركستان الغربية وما وراء النهر

في عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م عبر عبيد الله بن زياد الوالي الاموي على خراسان نهر جيحون، وحاصر بخارى، ودحر القوات التركية القادمة لنجدة حاكمة المدينة (خاتون) وفرض شروط الصلح على الخاتون ثم عاد إلى خراسان، وفي عهد كل من سعيد بن عثمان والي خراسان الجديد عام ٨٦هـ/ ٦٧٦م مسلم بن زياد ٦١هـ/ ٦٨٠ – ٦٨١م انتصر العرب مرة أخرى على القوات التركية التي سارعت إلى نجدة مدينتي سمرقند وبخارى ثم تراجعوا إلى مدينة مرو.

لقد جاء الفتح الحقيقي لما وراء النهر وتركستان الغربية وترسخ الاعلام في قسم منها خلال ولاية قتيبه بن مسلم الباهلي على خراسان (٧٠٥-٧١٥م) حيث اكتسح كل القوات المناوئه المحلية منها والوافدة المتمرد، وحرر المدن الرئيسية في ما وراء النهر وفتح بعض جهات تركستان الغربية. وفي السنة الأخيرة من ولايته بعث قوات للسيطرة على الطريق التجاري بين كاشغر وفرغانة.

وخلال هذه الفتوح كانت دولة كوك – تورك الثانية من جانبها تعيش أقوى ادوارها، بيد أنها بالرغم من ذلك لم يكن بمقدورها مقارعة القوات العربية، مع العلم أن حدودها الغربية كانت تتاخم نهر سيحون ولم تكن في المنطقة دولة تركية أخرى غيرها.

وبعد مأساة القائد العربي الكبير قتيبة بن مسلم الباهلي دب الضعف في النفوذ العربي في ما وراء النهر وقامت في جهة الاعداء دولة جديدة تعرف بـ (قراتوركيش) عام ٧١٧م[1] لذلك تغير الموقف فتطاولت الأخيرة على المسلمين ودارت فعلاً معارك بين الطرفين، يستثنى من كل ذلك فترة انتصارات نصر بن

---

(١) . Volxx vl . P233 / 466.

يسار (١٢١- ١٣١هـ) التي تذكر الانسان بعهد قتيبة الباهر، فقد اعاد نصر السيادة العربية على حوض سير درباً (سيحون) وقضى في عهده على كل خطر مرتقب من جانب الرعاة الغزاة[١] وبعد النصر الذي احرزه العرب في موقعه طلس -كما سنرى- تمت الهيمنة على منطقة سيحون جميعها في العصر العباسي[٢].

والتقى الجمعان وصبر الفريقان يومهم الى الليل فلما غربت الشمس ألقى الله الرعب في قلوب الصينيين ونزل النصر فانهزم الكفار (ص٢١١) ويظهر من الفسوي: أن صاحب الصين، ولا شك كان يرمي على اغراض توسعيه بحجه مفتعله سنذكرها فيما بعد وكان زياد بن صالح حاكماً على سمرقند ولم يكن أبو مسلم في أقليم ما وراء النهر إنما كان منشغلاً في مرو قاعدة خراسان آنذاك ويسمى الفسوي القائد الصيني بـ (حاكم جبال الصين) وهو كما يقول ونلوب من الالقاب السامية للقائد (كاو)[٣].

ويزودنا الفسوي بمعلومات عسكرية للجيش العربي خلال المعركة ويذكر أن جيش الصين كان (١٠٠) ألف شخص سوى من يتبعه من الترك ولا يحدد عدد هؤلاء فذكر المقدسي في كتاب البدء أن عدد جيش الصين بلغ أكثر من مائة ألف شخص (ص ٧٥) أما أبن جليفور (ت ٢٨٠هـ) فلا يذكر أكثر من توجه زياد إلى الصين ولا شك أن أبن الاثير استقى معلومات من موارد سابقه له، ليس بمقدورنا في الوقت الحاضر من تثبيتها يوقل أبن الاثير:

---

(١) نفس المقالة.

(٢) ارنولد تركستان الترجمة العربية ص ٣١٢.

(٣) إن أقدم مرجع نعرفه بواسطة الذهبي هو المؤرخ أبو يوسف بن يعقوب اللغوي، ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٢ - ٥٨٣.

تحالف ابن فرغانه وملك الشاش فنـــزل على حكم ملـــك الصـــين فلـــم يتعرض له ولاصحابه بما يسؤهم، وبلغ الخبر أبا مسلم فوجه إلى حربهم زيـــاد بـــن صالح فالتقوا على نهر (طراز) فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمســـين الفـــاً واسروا نحو عشرين ألفاً وهرب الباقون الى الصين وكانت الوقعة في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثون.

سير المعركة ونتائجها:

أ- المصادر العربية:

أن أول مصدر عربي –حسب علمنا– يقدم معلومات واضحه عن موقعـــه طلس هو المؤرخ الرحالة يعقوب القسوي المؤرخ الذي تسنى لنا الاطـــلاع علـــى رواياته بواسطة شمس الدين الذهبي صاحب كتاب تاريخ الاسلام (راجـــع الجـــزء الخامس/ ٢١٠، ٢١١، مصر) وهو يزودنا بمعلومات متسلســـلة جيـــدة تتعلـــق بالجانب العربي بوجه خاص[1] دون توضيح أسباب المعركة، يقول الغـــوي: كـــان لصاحب الصين حركة، وكان زياد بن صالح بسمرقند فبلغه بذلك واقبل صـــاحب الصين في مائة الف سوى من يتبعه من الترك، فسكر زياد بن صالح وكتـــب الى أبي مسلم بالأمر، فسكر أبو مسلم على مرد وجمع جيوشه وسالر إليه خالد أبن إبراهيم (الذهلي) من مخطارستان وسار جيش خراسان الى سمرقند في شـــوال ســـنة أربـــع وثلاثين وانجد زيادة بن صالح بعشرة الآف، فسار زياد بجيوشه حتى عبر نهر الشـاش واقبل جيش الصين فحاصروا سعد بن حميد فلما بلغهم دنو زياد فرحلوا، ثم نـــزل صاحب جبال الصين مدينة (طلح) فقصد زياد ثم التقوا من الغد، فقدم زياد الرمـــاة

---

(١) الحد الحشد واجبات تلقي على القرديين وهم الجنود المكلفين احياناً في المنطقة المفتوحة B. Zahoder .

صفاً أمام الجيش وخلفهم اصحاب الرماح ثم الخيالة ثم الحسد[1] بعد ذلك واعـــد خيلاً (ص٢١٠) كتيناً فالتقى.

بـ المصادر الصينية:

تقدم المصادر الصينية معلومات فيها تفصيل حول اسباب الحادثـــة الـــتي يسميها الفسوي بـــ (الحركة) وحول سير المعركة.

درس البروفسور E. Chavannes المصادر الصينية وفي كتاباته الـــتي نشرها باللغة الفرنسية فوائد كبيرة حول هذا الموضوع نقل منها ما يمهنا بواســـطة مقالة البروفسور (حقي دورسون بيلديز) التي المعنا إليها سابقاً.

Echannes, Documents surles Tou – kiue / (Turcs) occidenoux, saint petersburg, 1,03

المصدر الثاني يبصرنا بما ورد في المراجع الصينية هو التقيري المهم بعنـــوان (دراسة في موقعة طلس) بقلم LiuEn- Lin (Taiulan) قدمت إلى المؤتمـــر التاريخي التركي السابع المنعقد في انقره عـــام ١٩٧٢. ص ٤١٤– ٤٢٠ فـــهو مصدر لا غنى عنه لاي دارس في هذا الموضوع. أن موضوع معركة طلـــس هـــو الصراع بين اسرة تانغ وبين الحاكم العربي في آسيا الوسطى، وهو الصراع الـــذي اسفر عن اندحار الصين أمام القوات العربية.

كانت القوات الصينية بقيادة Keosien - Tche الذي وردت أخبـــار سيرته في المجلد ١٠٤ من تاريخ تانغ القديم على الوجه التالي: كان (كاوثين جـــي) قائدة الحملة الموجهة على طشقند عام (١٣٣هـــ–٧٥٠م) وقـــد أســـر حـــاكم طشقند وبعث به الى امبراطور الصين، مضافاً إلى ذلك نهب المدينة واستولى علـــى

---

(١) دنلوب ص ١٤.

غنائم وفيره من الاحجار الكريمة والذهب والخيول وغيرها، قدم معظمها هدايا الى الامبراطور والى الاطراف كان (كاوشين جي) موسراً وكريماً في آن واحد فساعد كثيراً من ذوي الحاجات وإزاء هذا الكرم وذلك النصر منح إدارة المنظمة الممتدة في غربي النهر الاصفر بلقب والي shi-Hi .

وفي المجلد ٩-١ من تاريخ تانغ القديم ورد النص التالي:

أن حقيقة الحملة الموجهة على طشقند عام ٧٥١م هي أن اوشين جي كونت في أول الأمر علاقات وديه مع حاكم طشقند فكان يهدف من ورائها إلى اغراض خفيه يضمرها في نفسه، إلا أنه لم يلبث بعد ذلك أن باغت طشقند في وقت غير مرتقب مباغته آنيه واكراه حاكمها الذي ذهل من جراء هذه الحركة غير المتوقعه على قبول السيادة الصينية كما استحوذ على عدد كبير من الاسرى وغنائم ثمينه.

وفي المجلد ٢٢١ من تاريخ تانغ الحديث جاء ما يلي:

كان Chibis حاكم طشقند تابعاً لحكم الصين بيد أنه نقض المعاهدة المعقودة بين الطرفين ولم يرع الشروط المبرم بينه وبين الصين الأمر الذي دفع كاوشين جي للقيام بالحملة على طشقند.

وفي المجلد ١٣٥ من التاريخ نفسه ذكرت ترجمة كاوشين جي على الوجه التالي:

قام كاو بالحملة على طشقند عام (١٣٣هـ-٧٥٠م) وفرض على حاكمها شروط السيادة مستغلاً ضعف القوات الطشقنديه أمام العساكر الصينية ولم يكتف كاو بهذا القدر من السيطرة إنما ألقى القبض على حاكم المدينة وارسله إلى الامبراطور حيث قضى عليه.

أثار هذا التصرف من جانباً الصين مخاوف واستنكار الدويلات القائم آنذاك، فأخذت تفكر ما سيؤول إليه الحال وتبحث عن حل آخر لهذا الموقف وفي الوقت نفسه كان أبن حاكم طشقند تدفعه روح الانتقام الثأر لابيه فوقف بجانب هذه الدويلات ثم استنجد بالدولة العربية، ولم يمضي على ذلك وقت طويل حتى عهدت اسباب المعركة بين العرب والصين قرب طلس[١].

أما العوامل التي ادت إلى قيام هذه المعركة فأن المصادر الصينية تغزوها إلى أن حاكم طشقند قد نقض شروط الصلح المبرمه بينه وبين الصين مما آثار الثانية على الأولى وكان ذلك سبباً لنشوب المعركة هذا هو ادعاء الصين.

أما الحقيقة فأن هذا الادعاء أن هؤلاء إلا حجة واهية تتهاوى أمام منطق التاريخ، لأن الصين كانت تسير على سياسة التوسع نحو الغرب والسيطرة على مناطق تركستان، ومن المحتمل أنها اتخذت ذريعتها في الهجوم كما ورد عن أبن الاثير بأن خلافاً قد نشب بين حاكمي الشاش (طشقند) وفرغان واستجحد حاكم طشقند بالصين إزاء خصمه.

والخلاصة: أن إمراء كوك – تورك الحاكمين في طشقند لن يوحدوا شتات قواتهم في المنطقة ضد الصين على أثر مقتل حاكم طشقند Bagatur– Tadum التجأ أبنه الى قبائل القارلومد القاطنين باعداد كبيرة قرب اليسيق كوك والذين كانوا يشكلون قوة في المنطقة يحسب لها حساب[٢] كما أخذ يبحث عن سبيل الانتقام من القائد الصيني محاوشين جي فاتفق مع الدويلات المجاورة ثم

---

(١) دراسة في موقعة طلس lin–lfuEn ص ٤١٤ – ٤١٥.

(٢) Chav a nnes Cit. 142 Opud. D. yidiz .

استنجد بالدولة العربية التي كانت قوية من جميع الوجوه والتي سارعت دون تـــردد للاستجابة وابداء المساعدة الى طشقند فتمهدت بذلك اساس المعركة المقبلة .

أحداث معركة طلس في المراجع الصينية:

جاء في المجلد ١٠٩ من تاريخ تانغ القديم وفي ترجمـــة (Li chi- xe) ما يأتي:

على أثر غزو كاوشين جي طشقند استنجد والي عهدها بالدولـــة العربيـــة وشكا إليها فعال الصين مستغيثاً بالعرب فاتخذت كلمة الدولة المجاورة خلال فـــترة قصيرة بما فيها الامبراطورية العربية وتكون منها جيش قوي بقيادة القوات العربيـــة استهدف فتح مناطق (كوشيا) وقره شر وخقن كاشغر ولما علم كاوشين جـــي دب في نفسه الذعر وتقدم بجيش قوامه ٢٠ ألف مقاتل لمناجزة القوات العربية فحدثـــت المعركة قرب طلس منيت القوات الصينية على أثرها بخسائر فادحـــه، اســـتطاعت بعض الألوف منها فقط أن تنجو بارواحها من ميدان المعركة ودلوا فراراً.

وعقيب هذه الكارثة التي ابلت بـــالصين تقـــدم Li/chi/yc مســـاعد كاوشين جي بالاقتراح التالي:

ياجنرالي: لقد ابتعدنا عن بلادنا كثيراً وأن إمكانية الاســـتعداد ووصـــول النجدة إلينا من الخلف غدت ضعيفة جداً، ونحن الآن في حالة من الخســـران، وأني واثق بأن الدولة التركية الصغيرة عندما تعلم بامرنا هي الأخرى ستغير علينـــا وإذا وقعنا نحن الاثنين في الاسر فلن يكون بمقدورنا أعلام الامبراطور بما جرى لـــذا أن السبيل الوحيد أمامنا هو التراجع الى سفوح (Aktos) آق كاش والدفاع عـــن أنفسنا وبهذه الوسيلة إذا لم نكسب المعركة فأننـــا نكســـب الموقـــف إلى جانبنـــا بعض الشيء.

إلا أن كاوشين جي رفض هذا الاقتراح وأخذ بعد العدة ويخطط للـــهجوم في اليوم التالي.

وعاد المساعد (شي – به) مرة أخرى مصراً على رأيه اصراراً فاقتنع القـائد بضرورة الانسحاب، وفي هذه الاثناء كان الاتراك الموجودون بين القوات الصينيـــة يحتلون مواقع في الصفوف الامامية من الجيش الصيني وبعد أن سار الجيش مديـــره عمل هؤلاء الاتراك على ادخال الجيش الصيني مدخل مســـالك وعـــره يصعـــب اجتيازها فقد بذل (شي يه) جهده في اقتحام هذه الصعاب وتجشم في ذلك متـــاعب كثيرة حتى قطع جيشه هذه المسافة وتراجع كاوشين جي نفسه الى الوراء.

وفي المجلد ٢١٦ من تاريخ (Tung/chgien) أي التاريخ العام وردت هذه النصوص:

على أثر قيام (كاو/ شين / جي) باسر حاكم طشقند عام ٧١٥م هرب أبن الحاكم (yuen – En) ورفع الشكوى إلى الدول المجاورة التي اســـتيقنت مـــن اساءة تصرف الصين فاتفق رأيها على تقديم العون لابن الحاكم فقد اتحدت كلماتهـا على هذا الاساس، ولاجل الانتقام من (كاو/ شين/ جي) سارع أبن الحااكم ســـراً واتصل بالدولة العربية واستغاث بها، وعلى ذلك اتفق الرأي أن يكـــون الهـــدف الأول هو مباغته مدن: كوشا، وتراشر، وختن، وكاشغر ولما علم كاوشـــين جـــي بالخر عد جيشاً من الصين والاتراك قوامه ٣٠ الف جندي وتقدم لمواجهة العـــرب وبعد أن قطع الجيش الصيني مسافة ٧٠٠ كم متجهاً نحو الغرب وقف أمام القوات العربية وجهاً لوجه قرب طلس واشتبك معها في ملحمة ضارية استمرت خمسة أيام وجهت خلالها جماعات القارلوق التركية إهانة الى الصينيين الذيـــن اضطـــروا إلى

الحرب في جبهتين فابيد معظم اعداد الجيش الصيني في ساحة المعركة وفي الصينيون بخسائر ساحقة[1].

أقوال شتى في تاريخ المعركة وعدد المقاتلين الصينيين:

جاء في تقرير Liu/En/Li :

نتيجة لبحثنا هذا تبين لنا أن تاريخ حملة طلس كما في تاريخ تانغ القديم والحديث يصادف عام ٧٥٠م ومطالع عام ٧٥١م.

أما تاريخ المعركة فكان في تموز من عام ٧٥١م ومن المؤكد أن الحملة والمعركة حادثان مختلفان.

وقد اتضح من المجلد الخامس من تاريخ تانغ الحديث بأن سيرة امبراطور تانغ وهو cung–Cguen قد دونت بوضوح مرتبة على ترتيب الأحداث جاء في السيرة: أنه في عام ١٠ من Tien / Bar أي في ١٧ من كانون الثاني قام كاوشين جي والي كوشا بأسر كاف توركيش وفي تموز أندحر (كاوشين جي) في معركة نشبت قرب طلس أمام الجيوش العربية.

وهذا هو التاريخ الصحيح– كما أكد عليه تقرير Liu في (ص١٧) أما ما يتعلق بعدد الجيش الصيني في معركة طلس ففيه اقوال مختلفة أيضاً وتفيد المعلومات التي حصل عليها Liu:

١. جاء في المجلد ١٠٩ من تاريخ تانغ الحديث وفي ترجمة ye–Li- che بأن كاوشين جي تقدم بجيش قوامه ٢٠ الف شخص وقد مني بالخسران.

---

(١) . LiuEn – liu Op Cit – 416 – 417

٢. وكذا في المجلد ١٣٨ من تاريخ تايغ القديم وفي ترجمة Li/ chi/ ye ذكر بأن كاوشين جي خرج بجيش قوامه ٢٠ ألف واندحر في المعركة .

٣. وفي غير ذلك ذكر أن عدد الجيش كان ٣٠ ألف.

جاء في كتاب عنوانه Tung/chien المجلد ٢١٠ الخاص بعهد تانغ اتفقت كلمة الدولة التركية الصغيرة جميعاً مع العرب وقررت مباغته الأربع مدن المذكورة، لما علم كاوشين جي بذلك تقدم بجيش عدد (٣٠) ألف مقاتل بما فيهم الأتراك لمحاربة العرب.

٤. اخيراً يسلم Li/ chi/ ye في التقرير بصحبة (٧٠) ألف جندي وجاء في المجلد (١٨٥) من دائرة معارف عهد تانغ ومما كتبه Duli/o حول موضوع حماية الحدود أن كاوشين جي تقدم للحملة على طشقند واشتبك في معركة مع العرب قرب طلس أبيد خلالها جيشه المكون من (٧٠) ألف شخص أباده تامه (ص ٤١٨- ٤١٩) من دراسة Liu/ En lin أن سبب صحبة (٧٠) ألف جندي يفسر بالأمور التالية (الكلام لـ Liu):

أ- استمرت معركة طلس خمسة أيام جاءت خلال هذه المدة نجدات الى الطرفين عدا القوات الاصلية المشاركة في المعركة وهذا مما يدعو الى القول أن عدد جيش كاوشين جي أكثر من (٣٠) ألف مقاتل.

ب- كان نظام الجندية في عهد تانغ وتنظيم الجيش في تلك الأثناء قائماً على اساس أن لكل قائد جيشاً خاصاً به عدا الجيش المرابط في المراكز.

وعندما تمس الحاجة الى قوات اضافية كانت هذه القوات تنظم الى الجيش المحارب، وهذا مما يدعو الى القول ان قوات اضافية انظمت إلى الجيش الاصلي البالغ (٢٠) ألف أو (٣٠) وبذا يبلغ العدد أكثر من (٧٠) ألف مقاتل.

ج- أن (Du/ yo) بصحبة (٧٠) ألف مقاتل كان معاصراً لكاوشين جي ولرئيس وزراء زمانه أيضاً.

(أنتهى الاقتباس من Liun En ص ٤١٨ - ٤١٩).

وخلاصة القول: أن المصادر العربية تجمع على أن جيش الصين كان ١٠٠ ألف مقاتل وأن الاتراك القارلوق انفصلوا عن الصين خلال المعركة التي حديث في تموز من عام ٧٥١م واستمرت خمسة ايام.

أما التنظيم الذي استخدمه العرب خلال المعركة فقد ذكره المؤرخ الفسوي على الوجه التالي:

(قدم زياد الرماة صفاً أمام الجيش وخلفهم أصحاب الرماح ثم الخيالة ثم انحسر ذلك واعد خيلاً كميناً فالتقى الجمعات وصبر الفريقان حتى نزل النصر فانهزم الكفار[1].

ولا نرى تذكرة للقارئ الكريم بأن الفتوح الاسلامية صيرت الباحثين أوربيين وغيرهم، لذا لم يكن سهلاً عليهم التسليم بأن الجبهة الاسلامية باعداد جنودها القليلة انتصر على الصينيين وعددهم (١٠٠) الف فلم تكن معركة طلس من قبل ما يقال حكايات الحزب من الخيال واغرب من أن تصدق إذا تذكرنا الفتوح الكبرى السابقة لأنها كانت حلقة في سلسلة تلك الفتوح.

---

(١) . Liu - En – liu 417

وضعت معركة سكان المنطقة امام اختيارين، الأول نظام الحكم الصيني القائم على سياسة الايقاع والتعسف واحترام خرفاة بوذا واساطير الأولين، والثاني حكم واضح عادل قائم على العدل والعقل والمبادئ الانسانية الرفيعه، فكانت المعركة معركة حضارية للسيادة على تركستان فانتصرت الحضارة العربية الاسلامية على أثرها، وتقهقرت الحضارة الصينية تماماً من انحاء المنطقة .

آثار معركة طلس:

١- ساد الحكم الاسلامي في العهد العباسي على جميع مناطق سيحون[١] وانحسر النفوذ الصيني – كما مر بنا من هذه البلاد التي تحدث جزءاً من العالم الاسلامي وإذا اسفرت معركة طلس عن خسارة الجيش الصيني فأنها تركت آثاراً مهمة بالنسبة للتاريخ الاسلامي والعالمي في آن واحد.

اتبعت الصين سياسة السيطرة علىآسيا الوسطى وكان مدى نجاح هذه السياسة متوطأ بالوضع العسكري والسياسي لهذه البلاد فاستمرت السياسة التقليدية الصينية حتى أواسط الثامن ضمنيت في معركة طلس بتلك الخسائر الفادحة عام ٧٥١م مما قضى على آمالها في هذه الجهة قضاءاً مبرماً، ولم تعد الصين خطراً يذكر لتركستان الغربية[٢] فكانت المعركة إلى الفاصل بين منطقة نفوذ العرب ومنطقة نفوذ الصين على جانبي جبال آلتاي وظلت هذه الحدود قائم خلال عدة قرون[٣].

---

(١) الذهبي ن – م ص ٢١.

(٢) Z. utogas Op . Cit, 59 .

(٣) مقالة المسيحية في آسيا الوسطى ص ٦ Bavthotd.

٢- يقول الاستاذ الدوميلي في كتابة (العلم عند العرب) قائلاً سجلت معركة طلس في يوليه ٧٥١م نصراً مبنياً للمجاهدين المسلمين ولكن المارد الصيني العملاق لم تهتز بمجموعة اهتزاز محسوساً بهذه الصدمة، بل ازدادت حضارة الصين نمواً بواسطة الاتصال بالتأشير العربي الذي وجد سبيلاً للتسرب والنفوذ عن طريق الجيوش والتجارة[١].

ويقول بارتولد: وبدأت الصلات التجارية بين العرب مآسها الوسطى تجد طريقاً تجارياً جديداً غير الطريق القديم المؤدية إلى الصين فذكرت أخبار الصين أن التجار العرب يخرجون كل ثلاث سنوات مرة قافلة محملة بالحرير من كوشا متجهين الى منابع (ينسبه لي) ويسوقونها الى مركز القرغيز والتبت مستفيدين من الطريق نفسها[٢].

٣. كانت معركة طلس نقطة تحول في تاريخ الترك فأنها بعثت الحيوية في نفرس الترك وازدادت أواصر الصداقة بينهم وبين العرب[٣].

واخذوا يدخلون في دين الاسلام افواجاً وكذا ازدادت اسبابهم للعالم الاسلامي فعلى مدى الاجيال تتابعت موجات بشرية وحل لاحقها مكان سابقاً في آسيا الوسطى فصارت لجنودهم مكانه رفيعه في الجيش العباسي والأدارة العباسية.

---

(١) كلود كاهن تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ترجمة بدر الدين القاسم ١/ ٣٩ – ٤٠.

(٢) الدوميلي العلم عند العرب نقله الى العربية عبد الحليم السجاد يوسف موسى – دار القلم ص ٨٦ – ٨٧.

(٣) بارنولد مقاله المسيحية في آسيا الصغرة ص ٦ وما بعدها.

وعندما ترك الصينيون السيادة على آسيا الوسطى للعرب انطلقت قبائل الترك بالتوسع في مناطق كانت محورة وعليهم فاشغل القارسوف (خزلخ، خزلخيه عند العرب) القسم الشرقي في منطقة سميرة جي وجهات سيحون[١].

وتقول دراسة Liu En Lin: لو قعت المعركة لغير صالح العرب لكانت ضربة كبيرة للاسلام، ولكن الترك جميعاً في آسيا الوسطى يضطرون الى اعتناق البوذية[٢].

٤- كانت معركة طلس صراعاً حضارياً بين حضاريتي العرب والصين، كما اسلفنا فأن كل واحدة منها تسعى لكي تكون لها السيادة في المنطقة[٣].

فوضعت الحضارة العربية حداً لعملية (التصيين)[٤] وتراجع التأثير الصيني أمام الاسلام، وبدأ الروابط الحضارية بحيث توغل هذا الدين العظيم بواسطة الاتراك إلى داخل الصين[٥].

٥- استطاعت العلوم العربية ان تنفذ الى قرارة الحياة بين شعوب آسيا الوسطى، فقد اقتحمت العربية تراث قارس والعضد والصين وغيرها وحلت العلوم والآداب محل اللغات المحلية التي أخذت تعتمد على الأدب العربي وترضع من لبانة[٦] وتستند على الحروق العربية التي حلت محل الكتابات

---

(١) المجلد (١) مادة طلس (المعركة) Moydan Larousse وراجع السيف الشرف الاوسط – ترجمة منصور ابو الحسن – بيروت ١٩٨٧ ص ١٠٣.

(٢) بارنولد نفس المقال السابق .

(٣) دراسة Lin ynliu ص ٤١٩.

(٤) Oavcholel Four Studies Vol I. P. 11.

(٥) موريس لومبار الاسلام في عظمته الأولى ترجمة ياسين الحافظ بيروت.

(٦) LiuEn – Lin s,.. 420.

المحلية لأنها أقوى واسهل من غيرها ولأنها قبل كل شيء كتابة القرآن، وبذلك دخل في اللغات الدارجة في هذه البلاد فيض من العبارات والالفاظ العربية.

٦- تحمل معركة طلس أهمية في الحضارة العالمية:

لقد انتقل تركستان إلى الفلك السياسي والاقتصادي للعالم الاسلامي وعندما دخلت صناعة الورق إلى هذه البلاد قامت زراعة واسعة من الكتان والقنب[١].

جاء في كتاب " ثمار القلوب" للثعالبي:

من خصائص كواغد سمرقند أنها عطلت قراطيس مصر والجلود التي كانت الاوائل يكتبون فيها لأنها أنعم واحسن وارفق ولا تكون إلا سمرقند والصين وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقه من الصين إلى سمرقند في سبي سباهم زياد بن صالح في وقعة اطلس (طلس) من أتخذ الكواغيد ثم كثرت الصيغة واستمرت العلدة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند نعم خيرها والارتفاق بها جميع البلدان في الآفاق[٢].

وكتب العالم التقني الصيني المشهور Hua-Li , Chus ساق العرب اسرى الحرب الصينين في معركة طلس ٧٥١م إلى سمرقند وكان بين هؤلاء من يتقن صناعة الورق فبدأ هؤلاء ينشرون هذه الصناعة في سمرقند وانتقلت هذه

---

(١) بكتور حسني ناعسة الكفاية الفتيه في شرق الدول الاسلامية ص ٤٣٠ - ٤٣١ بيروت ١٩٧٨.

(٢) موريس لومبار ن. م ص ١٦٧.

الصناعة بواسطة العرب الى اوربا[١] فكان العرب اساتذة صناعة الورق لعدة عصور وهم الذين استخدموا الكتاب والقنب والخرق البالية في تلك الصناعة[٢] فوجدت مصانع كبيرة للورق[٣] في بغداد ومصر والاندلس وصقليه ودمشق[٤].

أما مناطق انتقال هذه الصناعة إلى أوربا[٥] فكانت صقلية والأندلس ومنذ القرن الثالث عشر انتشرت مصانعها في انحاء الغرب[٦].

---

(١) الثعالبي ثمار القلوب نشرة محمد أبو الفضل ص ٥٤٣.

(٢) Liu – En – Liu- Op – Cit 420 .

(٣) مادة (الورق) في دائرة المنعارف الاسلامية طبعة استنبل (IA) .

(٤) Encylopades of Libvary and Information seieneei vol. 13 P 9G.

(٥) .H. Cyil dizopcit

(٦) Echavannres Op. Cit 297 .